أيوب وبناته

Hans-Jörg Ronsdorf · أبريل 2021 · نُقِّح في أكتوبر 2026

لفتت انتباهي بنات أيوب من خلال سلسلة محاضرات عن سفر أيوب. وهنّ مجرد تفصيل صغير في سفر رائع من العصور القديمة. وهو من أروع الأعمال الأدبية في التاريخ. ليس من السهل قراءته، وهو طويل نسبيًا بالنسبة إلى سفر من أسفار الكتاب المقدس. ومن يتمكّن من قراءته دفعة واحدة، يختبر تسونامي يجتاح العقل والقلب والروح. فالسفر يدور حول السؤال: لماذا كان على أيوب البارّ الكامل وعائلته أن يجتازوا مثل هذا الألم والمصير الظالم؟ هذا هو السؤال الكبير حتى اليوم، وسفر أيوب مساهمة مفيدة في هذا السؤال في صورة أدب الحكمة. ولا يقدّم أيوب أيضًا جوابًا نهائيًا. فالجواب ليس – كما يحاول أيوب وأصدقاؤه أن يحتجّوا – لاهوتَ جزاءٍ يقرّر ببساطة: البارّ يُبارَك، والظالم يُعاقَب. هذا المبدأ ليس هو الجواب عن الألم في العالم.

لكن هذا ليس موضوعي أصلًا. فالأمر يتعلّق، كما قلت، بتفصيل صغير، «بمنتَج جانبي»، له صلة بموضوع دور المرأة في الكتاب المقدس. فحتى الآن لم أتناول في كتابي ولا في الأعمال التي تلته نساءً في العهد القديم. ففي العهد القديم نساء كنّ نبيّات وملكات وقاضيات وقائدات (مثل مريم ودبورة وخلدة نبيّاتٍ، ودبورة قاضيةً، وأستير ملكةً). لا بوصف ذلك أمرًا طبيعيًا، بل بوصفه استثناءات. غير أن من يستنتج من ذلك أن هذه صورة للأدوار أرادها الله، عليه أن يقدّم من العهد القديم الدليل على أن الرجال ينبغي أن يقودوا والنساء أن يتبعن. ورواية الخلق نفسها لا تصلح لذلك. بل إن عدم التوازن الهرمي بين الرجل والمرأة هو نتيجة السقوط، وقد صار جزءًا مكوّنًا للمجتمعات في كل العصور، بأشكال مختلفة. **الهرمية لا تظهر قبل السقوط، بل بعده فقط.**

متى عاش أيوب وعائلته الكبيرة؟

يضع التقليد اليهودي أيوب في زمن إبراهيم (وملكي صادق). وبالطبع هناك نظريات أخرى عن الزمن الذي جرت فيه هذه القصة، لكن من المنطقي أن نفكّر في هذا الزمن، وأن نقارن مرةً حياة إبراهيم وأيوب وتحدّياتهما وتجاربهما.

فهذان الرجلان عاشا إذن قبل إعطاء الشريعة، وقبل نظام ذبائح منظَّم بالناموس. أحدهما صار أبًا لأمّة، بل أكثر من ذلك: الأب الأرضي لجميع المؤمنين. أما أيوب، من أرض عوص، فليس عبرانيًا ولا إسرائيليًا. ومع ذلك كان يعرف الله الحيّ. كيف عرفه أو بناءً على أيّ إعلان، لا نعرف. لقد كلّم الله أيوب مباشرة في الأصحاحات الأخيرة من السفر. بل قال أيوب: «وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي» (أيوب 42: 5). وكان ذلك شفاءه الداخلي. ويُرجَّح أن أيوب عاش في الأردن، في منطقة مختلطة بين الاستيطان الثابت والصحراء.

قصة أيوب معروفة. للشيطان نظرته إلى كيفية عمل الإيمان بالله: إنه تجارة، بل لعبة قذرة. فبدون مكافأة لا ولاء لله. وأيوب، أحد أغنى رجال الشرق الأدنى، هو الذي سيصير حالةً تُثبت أن الشيطان مخطئ. ربما ليس في كل من يؤمنون بالله، لكن في أيوب. وثمن هذا الإثبات باهظ. لكن نهايته تشفي جراح أيوب. نهاية قلّما نجدها في الحياة الواقعية. فكثير من المتألّمين لا يختبرون في هذه الحياة وهذا الألم خلاصًا كخلاص أيوب.

في الأصحاح الأخير يُعوَّض أيوب عن كل شيء ضعفين. فما سلبه الشيطان منه يستردّه مضاعفًا. فقد خسر 10 أولاد، ونال 10 أولاد بعد انتهاء آلامه:

أيوب 42: 13 وَكَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ.

14 وَسَمَّى اسْمَ الأُولَى يَمِيمَةَ، اليمامة، وَاسْمَ الثَّانِيَةِ قَصِيعَةَ، زهرة القرفة، وَاسْمَ الثَّالِثَةِ قَرْنَ هَفُّوكَ، قُرَيْن الكُحل.

15 وَلَمْ تُوجَدْ نِسَاءٌ جَمِيلاَتٌ كَبَنَاتِ أَيُّوبَ فِي كُلِّ الأَرْضِ، وَأَعْطَاهُنَّ أَبُوهُنَّ مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ.

إن هذا الإبراز الخاص للبنات الثلاث، بل الفريد تقريبًا في العهد القديم، يُظهر انقلاب مصير أيوب. فبقدر ما هو خاص واستثنائي هذا الإبراز للبنات، بقدر ما هو فريد تحوّل مصير أيوب.

ما الغريب في ذلك؟

الغريب أنه في زمن النظام الأبوي هذا، في زمن كانت فيه النساء مُلكًا ومُقتنًى كالبضائع أو الأشياء، يلفت النظر أمران:

1. **البنات الثلاث وحدهن يُذكرن بأسمائهن، لا البنون.**
2. **البنات يرثن تمامًا كإخوتهن.**

وأيوب نفسه هو الذي يعطي الأسماء ويقسم لهن الميراث، من غير أن يفضّل الإخوة. وفي هذا يظهر تقدير كبير من أيوب، الأب، لبناته، وذلك عكس تيار زمانه وثقافته. إنه مجرد ظنّ، لا يُفهم برهانًا بل قرينة: هل غيّرت آلام أيوب نظرته إلى النساء؟

لقد كان، مثل إبراهيم ومثلنا، ابنَ زمانه. هو ونحن متأثّرون بالمجتمع الذي نعيش فيه. وكانت صورة المرأة آنذاك (كما اليوم أيضًا) تطابق كلمة العقاب لحواء في التكوين 3: 16: «وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». لقد قلت دائمًا إن هذه العلاقة بين الزوج وزوجته، والعكس، لم تكن سلبية في كل ما يمكن أن تتّخذه من أشكال، قياسًا بما قصده الله. فقد وُجدت استثناءات إيجابية، لكنها أكّدت القاعدة. النظام الأبوي ليس صورة لأبوّة الله على عائلته، بل هو بنية اجتماعية دنيوية للعائلة والعشيرة، بأشكال متنوّعة في كل القارات، وصولًا إلى العالم الإنجيلي المحافظ.

على أيّ حال، يرى أيوب شيئًا مميّزًا لا في البنين، بل في البنات.

إننا لا نتعلّم أهمّ دروس الحياة من خلال الخير والأمور المريحة، بل من خلال الألم. فالآلام تغيّرنا. لكن لا يقين بأنها تجذبنا دائمًا إلى الله. فاختبار الخير كما الشرّ قد يجذبنا إلى الله، لكنه قد يُبعدنا عنه أيضًا، إذا كان ردّ فعلنا الغضب وخيبة الأمل. أما أيوب فيخرج من آلامه مُنقّى على نحوٍ ما. إنه في سلام مع الله، كما مع الناس من حوله، بدءًا من زوجته.

إن نظرة كثير من المسيحيين المحافظين اليوم إلى مسألة الجنسين هي الخضوع الهرمي للمرأة، ومنعها من الكلام والتعليم والقيادة في العبادة. ويُعَدّ المجال المنزلي ميدانَ عملها الكتابي. وهذه النظرة متجذّرة بقوة لدى رعاة اليوم وشيوخ الكنائس أو قادتها، حتى إنه لا بدّ أن يحدث أمر خاص لكي يتخلّوا عن هذه النظرة الدنيوية ويتبنّوا نظرة الخالق والفادي. لا، لا أقصد أن ذلك يتطلّب قصة أيوب شخصية لكل واحد، بل فقط أن تغيير الفكر لا يكفيه مجرد تعديل صيغة. فالأمر أعمق بكثير، ويحتاج إلى شجاعة لإعادة التفكير، وللوقوف إلى جانب ذلك، والتصرّف بموجبه.

وبالمناسبة، ليست المسألة أن الرجال لا يجوز لهم أن يروا النساء جميلات. فقد كانت البنات الثلاث جميلات لافتات، كأنهن ثلاثة ملائكة لأيوب. هذا الجمال يريد الرجال أن يمتلكوه. إنهم يشتهون هذا الجمال، ولهم أن يفعلوا ذلك. لكن لا بوصفه مُلكًا متاحًا بحرية، بل لكي يحموه ويتمتّعوا به ويحفظوا له الأمانة. كما عاش أيوب نفسه ذلك (أيوب 31: 1).

الأسماء

أسماء البنات الثلاث غير مألوفة لآذاننا، لكنها، كما كثيرًا ما في العهد القديم، ذات معنى. ويشرحها بنديكت بيترز (Benedikt Peters) في تفسيره لسفر أيوب هكذا:

«العدد 14. "**وَسَمَّى اسْمَ الأُولَى ...**": لا نعرف إلا أسماء بنات أيوب. الأولى اسمها **يميمة**، jəmîmâh، من jôm، "يوم"، أي ما معناه تقريبًا "**المضيئة كالنهار**". وهذا يقابل تقريبًا اسم المرأة اليوناني هيلين، "المتألّقة نورًا". فبعد ليل الألم أشرق الآن على أيوب نهار مشرق من الرخاء. ويمكن أن يعني الاسم أيضًا، وفقًا لجذر عربي، "حمامة".

والثانية اسمها **قصيعة**، qəṣî'âh، وهي التابل العطِر السليخة (خروج 30: 24؛ مزمور 45: 8). وقرن هفوك، qæræn happûk، هو القرن الذي كان يُحفظ فيه الإثمد، كحل العيون الأسود الذي تستعمله النساء.»[1]

«ثلاثة أسماء تشير إلى رخائه المُستعاد (تكوين 4: 25؛ 5: 29).

يميمة – «ضوء النهار»، بعد "ليل" شقائه؛ لكن عند ماورر (MAURER): "حمامة".

قصيعة – «السليخة»، عشبة عطرية (مزمور 45: 8)، بدلًا من نَفَسه الكريه (19: 17) وقروحه.

قرن هفوك – «قرن الإثمد»، صبغ كانت النساء يلوّنّ به جفونهن؛ في مقابل «قرنه المدنَّس في التراب» (أو: كبريائي وكرامتي ملقاة في الوحل، Neues Leben – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) (أيوب 16: 15).

وتشير الأسماء أيضًا إلى جمال بناته.»[2]

نصيب في الميراث

«العدد 15. "الميراث بين ... الإخوة" – امتياز غير مألوف للبنات في الشرق، إذ كنّ بحسب الشريعة اليهودية لا يرثن إلا إذا لم يكن هناك بنون (عدد 27: 8)، وهو دليل على الرخاء والوئام.»[3]

«وأعطاهن أبوهن ميراثهن بين إخوتهن. هذا التصرّف من أيوب، الذي يخالف بشدّة أحكام الشريعة الموسوية (عدد 27: 8)، لكنه يجد نظيره في بعض أعراف العائلات عند العرب أكثر مما في ممارسات عبرانية بعينها، كان الغرض منه أن يُمكّن البنات من البقاء بين إخوتهن حتى بعد زواجهن؛ **ولذلك يُذكر علامةً على الوئام الأخوي بين الإخوة والأخوات الذي ساد بين أولاد أيوب هؤلاء المتأخّرين كما بين الأوّلين (قارن 1: 4).**»[4]

ويكتب بنديكت بيترز في تفسيره لسفر أيوب كلامًا صائبًا: «حين يدعونا الله بأسمائنا أو يعطينا اسمًا، فإنه يُظهر ما نعنيه له. إن استرداد أيوب هو بلا شك عربون لاسترداد كل الأشياء في نهاية الدهور. حينئذ تُرفع النساء أيضًا أخيرًا إلى المكانة، وتُعطى لهن أخيرًا الكرامة التي حُرمن منها عبر آلاف السنين من تاريخ

البشرية، والتي يدين بها الرجال لهن: "**كَذلِكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الإِنَاءِ النِّسَائِيِّ كَالأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَالْوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لاَ تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ**" (1 بطرس 3: 7). على الرجال أن يعطوا نساءهم الكرامة التي تحقّ لهن بوصفهن وارثات، لأن "**أَبَاهُنَّ**" أعطاهن "**مِيرَاثًا بَيْنَ إِخْوَتِهِنَّ**" (قارن عدد 27: 7).»[5]

يرى بطرس، في زمنه الذي يهيمن عليه الرجال، أن من الضروري أن يلفت انتباه الرجال المؤمنين أنفسهم إلى أن النساء صرن الآن يرثن بالقدر نفسه. وهذا لم يكن في الشريعة الموسوية إلا إذا لم يكن هناك إخوة.

لكن في المسيح ليس ذكر ولا أنثى (غلاطية 3: 28). ولذلك سيكون بركةً لو أن بنديكت بيترز أيضًا لم يرفع النساء جزئيًا فقط إلى المكانة التي يرى أنها تحقّ لهن، بل سار الطريق كلّه. ففرض الخضوع من طرف واحد عليهن، ومنعهن من الكلام (الصلاة، الوعظ، التعليم)، ومن القيادة، هي بالضبط علامات العالم الساقط لا الخليقة الجديدة، التي لا تنتظر المجيء لاحقًا، بل قد بدأت فعلًا مع الكنيسة بوصفها الإنسان الجديد (أفسس 2: 15).

هذا ما أردت قوله عن بنات أيوب، اللواتي يبرزن من بين الجموع كمنارة، وكنّ منذ العصور القديمة إشارة إلى مدى قيمة النساء وإلى أنهن ينبغي أن يكنّ مساويات لإخوتهن. وإن كان هذا قد صحّ آنذاك، فكم بالأحرى اليوم.

الحواشي

1. Benedikt Peters, Kommentar zum Buch Hiob (بالألمانية), Bielefeld: CLV 2020، ص. 412.
2. Jamieson, R. / Fausset, A. R. / Brown, D., Commentary Critical and Explanatory on the Whole Bible, I, Logos Research Systems, Inc., Oak Harbor, WA 1997, 344.
3. Jamieson, R. / Fausset, A. R. / Brown, D., Commentary Critical and Explanatory on the Whole Bible, I, Logos Research Systems, Inc., Oak Harbor, WA 1997, 344.
4. Lange, J. P. / Schaff, P. / Lewis, T. / Zöckler, O. / Evans, L. J., A Commentary on the Holy Scriptures: Job, Logos Bible Software, Bellingham, WA 2008, 631.
5. Peters, Kommentar zum Buch Hiob، ص. 412.